بطرس غالي

الأســـتاذ

أنت رجل الدولة البارز والأستاذ الكبير ..

بهذه الكلمات توجه رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الـ ٤٨ بالحديث إلى الدكتور بطرس غالى بعد أن وافقت الجمعية العامة بالاجماع على اختيار الدكتور غالى لمنصب الأمين العام للمنظمة الدولية .

فالدكتور غالى مثلما هو « رجل دولة بارز » هو أيضا أستاذ أكاديمى كبير ، وهو صاحب مدرسة الجمع بين الدراسة الأكاديمية لعلوم السياسة والممارسة العملية للنشاط الدبلوماسى .

وهو كأستاذ جامعى ، له تلاميذ بالآلاف منتشرون على طول ساحة الحياة الدبلوماسية ..

وهو كأستاذ للصحافة المتخصصة فى مجال الاقتصاد والعلوم السياسية . وكمؤسس لمجلة « الأهرام الاقتصادى » وكأول رئيس تحرير لمجلة « السياسة الدولية » وكأول رئيس لأول قسم للعلوم السياسية فى الجامعات المصرية .. قد تخرج على يديه آلاف آخرون من المحللين السياسيين والكتاب المتخصصين لا فى مصر فقط وإنما فى كافة البلاد العربية والأفريقية .

وهو كمؤسس لمركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام قد وضع

اللبنة الأولى لأجيال من الدارسين المنقطعين للبحث عما وراء الأحداث السياسية وجذورها والاحتمالات المترتبة عليها فى المستقبل القريب والبعيد .

ولا يزال مكتبه قائما فى الطابق السادس من مبنى الأهرام .. وكان هذا المكتب حتى وقت قريب مزارًا للباحثين الذين يفدون إليه للاستنارة برأيه فيما يصعب عليهم فهمه من معضلات السياسية وخبايا المشاكل الدولية المعقدة .. وفى داخل غرفة المكتب رفوف تغطى الحوائط ، وتضم نماذج من رسائل الدكتوراه التى سهر على إعدادها تلاميذه والتى أشرف عليها وأسبغ على فصولها إشعاعات من فكره وخبرته وموسوعيته .

ومنذ الخمسينات وبعد سنوات قليلة من قيام الثورة .. كان الاندماج بينه وبين « الأهرام » وفى بيته كان يستقبل العشرات من أساتذة الجامعة والدارسين والباحثين ورجال الإعلام .. وحتى رسامى الكاريكاتير كانوا يجدون فى ملامح وجهه المصرية ، وابتسامته الودودة ونظرته المتفائلة مادة حية لرسومهم .. وما أكثر زوايا الرسوم الكاريكاتيرية التى نشرت له فى الصحف والمجلات المختلفة .

مذهبه السياسى هو الليبراليه .. لا يحصر نفسه فى إطار واحد ، ولا يقيد فكره بمنظور جامد يدافع عنه بالحق والباطل ، فهو منذ السبعينات أصبح « مهندس » السلام فى الشرق الأوسط ، ولكنه

لم يترك مناسبة إلا وأكد فيها التمسك بحقوق الشعب الفلسطينى .. إلى الحد الذى أثار عليه حنق الإسرائيليين ، وكان هو صاحب عبارة « السلام البارد » فى توصيف العلاقات بين مصر وإسرائيل .. حيث لايمكن أن تقوم علاقات طبيعية دون الوصول إلى السلام الشامل على كل المسارات .

ورغم كل ما كتب عنه من أنه سليل أسرة ارستقراطية وأن جده « الباشا » كان رئيسا لوزراء مصر فى بداية هذا القرن .. فإنه فى أحاديثه الخاصة يبدى الاعتداد بجذوره الريفية ، وبارتباطه بالتراب المصرى . فقد كان والده يعمل بالزراعة فى مسقط رأسه ، وهى قرية كفر عمار مركز العياط ، محافظة الجيزة . كما أن والدته تنتمى لأسرة ريفية فى صعيد مصر .

وله شقيق أصغر عمل فترة مستشارا بالأمم المتحدة ، والمرجح أنه أول فرد فى الأسرة يخرج من نطاق العمل المحلى إلى الدائرة الدولية .. كما أن له شقيقا آخر عضوا بمجلس الشورى ويمتلك شركة سياحية .

وابن شقيقه .. يوسف غالى . هو وزير الدولة لشئون التعاون الدولى ، وكان له دور بارز فى سلسلة المحادثات التى أجرتها مصر مع صندوق النقد الدولى ومع مجموعة دول نادى باريس ، وهى المحادثات التى أسفرت عن إسقاط نصف ديون مصر .

أما زوجة الدكتور غالى – السيدة ليا – فهى تنتمى لأسرة من رجال الأعمال والصناعة بالإسكندرية .

وكأمين عام للأمم المتحدة فإن الدكتور غالى يرأس طاقما ضخما من الموظفين الدوليين قوامهم حوالى ١٥ ألف موظف منتشرين فى كافة أرجاء العالم ما بين المقر الرئيسى بمدينة نيويورك والمقرر الأوروبى فى جنيف ومكاتب الأمم المتحدة بمختلف العواصم والمدن الكبرى .

ومن مهام الأمانة العامة للأمم المتحدة التوسط فى النزاعات التى تنشأ بين الدول ، والإشراف على قوات حفظ السلام الدولية ، وتنظيم المؤتمرات الدولية ، ومتابعة قضايا حقوق الإنسان ، ومشاكل العالم الاقتصادية والاجتماعية ، كما أن من مهام الأمين العام أخطار مجلس الأمن بأى مشكلة يرى أنها تهدد السلام العالمى .

وتخصص الأمم المتحدة للأمين العام مبنى سكنيا مؤلفا من أربعة طوابق فى الجانب الشرقى من نيويورك ، كما تخصص له مكاتب فى كل من نيويورك وجنيف وفيينا .

والمرتب الذى يحصل عليه لا يخضع لأى ضرائب من جانب الدولة المضيفة ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا المرتب يقل عن مرتب الرئيس الأمريكى بمقدار ١٥ ألف دولار سنويا .. وكل من الرئيس الأمريكى والأمين العام للأمم المتحدة لا يسمح له بتلقى أى هدايا شخصية !

إن الدكتور غالى . الذى ظل لعدة سنوات « مهندس » السلام فى الشرق الأوسط أصبح اعتبارًا من أول يناير ١٩٩٣ مهندس السلام العالمى .. وأمامه العديد من مناطق التفجر فى العالم ، من أقصى الشرق فى كمبوديا إلى يوجوسلافيا فى أوروبا إلى مشكلة الصحراء فى شمال أفريقيا .. يضاف إلى ذلك مشكلة الديون التى تعانى منها الأمم المتحدة نتيجة لتأخر الدول الكبرى فى دفع التزاماتها المالية فى تمويل ميزانية المنظمة الدولية وفى نفقات قوات المحافظة على السلام ، الأمر الذى جعل الدكتور غالى يقول فى خطاب تنصيبه : « إننى أشعر بوطأة المسئولية وجسامتها منذ اللحظة الأولى » .

إلا أنه – مع دوره الجديد كممثل للضمير العالمى – لم ينس الإشارة إلى البلد الذى ينتمى إلى ترابه ، حيث قال بكلمات واضحة وبدون دبلوماسية : « إن انتمائى لمصر – الدولة العربية الأفريقية التى اضطلعت عبر العصور بدور الجسر للثقافات والبوتقة التى تفاعلت فيها الحضارات والأديان – يفرض علىَّ أن اعتنق ما يسرى فى عروق كل مصرى وما يتسم به فكره ووجدانه .. ألا وهو الإيمان بأن السلام والأمن غاية والحوار والتفاوض أسلوب والوفاق والتعاون أمل » .

لقد كشفت هذه الكلمات عن الأصالة المصرية عندما ترقى إلى النطاق العالمى ، وأكد الوصف الذى أطلقه عليه رئيس الجمعية العامة من أنه رجل دولة بارز ، وأستاذ ..

طانسو تشيلير

الناظـــرة باشا

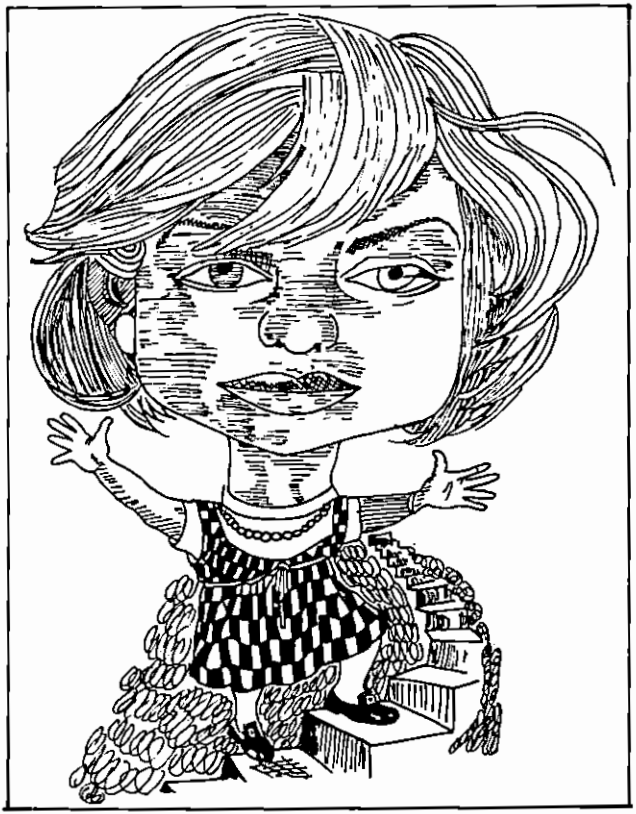

بعد ٢٧ شهرًا فى الحكم استقالت وقالت إنها لا تستطيع الاستمرار فى التعاون مع الحزب المؤتلف معها فى الحكم وهو حزب الشعب ذو الميول اليسارية ، والذى يعتبر امتدادا للحزب الذى أنشأه أتاتورك عندما أسقط السلطنة وألغى الخلافة العثمانية ، لكى يشرع فى تأسيس تركيا الحديثة .

وهى لا تقل ولاء لأتاتورك عن حزب الشعب ، ولكنها تفهم مبادئ أتاتورك بشكل مختلف ، والحزب الذى تتزعمه اسمه « الصراط المستقيم » أو « الطريق القويم » ويمثل يمين الوسط وهو الحزب الذى أسسه الرئيس الحالى سليمان ديميريل ، ويعتبر امتدادا لحزب العدالة ، الذى هو بدوره امتداد للحزب الديمقراطى ، وهذا الحزب الأخير هو إحدى مآسى تركيا الحديثة ، فقد كان يتزعمه رئيس تركيا الأسبق جلال بايار الذى قام ضده انقلاب عسكرى عام ١٩٦٠ وهوى به من قصر الرئاسة إلى المعتقل ، فانتحر بالقاء نفسه من نافذة زنزانته . أما نائبه فى زعامة الحزب عدنان مندريس مندريس ، الذى كان رئيسا للوزراء فقد أعدمه قادة الانقلاب .

والرئيس ديميريل هو بمثابة الأب الروحى للدكتورة طانسو تشيلير .. والمعروف عنه أنه لم ينجب أبناء ولا بنات ، ولو كان تزوج فى سن مبكرة فلربما أصبحت له الآن ابنة فى سن طانسو .

وهو يرى أنها الآن – من حيث أنها وريثة الحزب الذى أسسه – تواجه العديد من المشاكل التى تكاد تستعصى على الحل ، وفى مقدتها ثورة الأكراد فى جنوب شرق تركيا ، واعتمادهم على الكر والفر السريع ، والتجاؤهم إلى المناطق الجبلية بشمال العراق ، وقد استمرت هذه الثورة ١١ عاما حتى الآن ، تكبد خلالها الجيش التركى خسائر كبيرة ، واضطر إلى إقحام نفسه فى عملية غزو عسكرى لشمال العراق مرتين فى العام الماضى فى الربيع ثم فى منتصف الصيف ، الأمر الذى أثار غضب الدول العربية وأيضا دول أوروبا ، التى ترتبط بها تركيا باتفاقية جمركية ، وهى اتفاقية لم يقرها بعد البرلمان الأوروبى .

ثم تأتى بعد ذلك المشكلة القبرصية التى يتحتم على تركيا أن تجد حلا لها ، والحل الذى تدعو إليه الأمم المتحدة هو سحب قوات الاحتلال التركية من القطاع الشمالى للجزيرة القبرصية ، وهو أمر ترفضه الأحزاب الدينية والقومية . وبدون هذا الانسحاب لن تستطيع تركيا تحقيق خطوة هامة نحو الاصلاح الاقتصادى ، هى الدخول إلى عضوية الاتحاد الأوروبى ، وهذه العضوية لن تأتى إلا بعد إقرار الاتفاقية الجمركية ، وهو ما تضعه السيدة طانسو فى أولى اهتماماتها .

وفى أول اجتماع لمجلس الوزراء برئاستها .. ظهرت وهى تضع على عينيها نظارة طبية .. وعلق أحد وزراء حزب الشعب قائلا : شكلك للآن يشبه حضرة الناظرة .

وهم يطلقون على الوزير اسم « بقان » أى « ناظر » أما المقابل التركى للقب رئيس الوزراء فهو « باشبقان » أى « باشناظر » وبالتالى فإن السيدة طانسو هى « باشناظرة » أو « ناظرة باشا » وليست فقط ، حضرة الناظرة ، كما أراد أن يصورها ذلك الوزير المشاغب عضو حزب الشعب .

وهى أول امرأة فى تركيا الحديثة ، والقديمة ، وتتبوأ مقعد رئاسة الحكومة .. كثيرات غيرها حاولن وفشلن ، أما هى فتبدو ملكة جمال بين سائر سيدات تركيا اللاتى اشتغلن بالسياسة ، وسعين للاقتراب من سدة الحكم بمشقة ، لأنه لا تزال للرجل السيطرة على العمل السياسى فى تركيا .

وفى نفس أسبوع توليها رئاسة الوزارة .. انتخبت أوروبا فتاة تركية ملكة للجمال الأوروبى ، واختار الرئيس الأمريكى كلينتون امرأة لكى تكون أول وزيرة للعدل . فقد كان قدومها هو قدوم السعد لنساء تركيا ولكل سيدات الدنيا .

صحف بلادها تقول إنها أجمل رئيسة وزراء فى العالم ، وأن ابتسامتها تشع بالتألق وحديثها يأسر الأسماع وصوتها مثل وقع قطرات الندى ودعابتها صارخة بالأنوثة ، ولكن كل هذه الصفات الرقيقة تخفى وراءها امرأة صلبة الإرادة عنيدة فى خلافاتها مع خصومها وحلفائها على السواء .

وفى الغرب يشبهونها برئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت تاتشر من حيث صلابتها وعنادها .. ويقال أن تاتشر هى التى أوعزت إلى طانسو بأن تقتحم رئاسة الحكومة . وذلك خلال عشاء جمعهما معا فى لندن فى بداية عام ١٩٩٢ .

وكانت طانسو قد انضمت إلى حزب . الصراط المستقيم ، عام ١٩٩٠ عندما كان هذا الحزب فى المعارضة ، لكنها لم تلبث أن انطلقت مثل الصاروخ ، فأصبحت فى نفس العام نائبة فى البرلمان ثم فى العام التالى وزيرة دولة للشئون الاقتصادية وبعد عامين نائبة لزعيم الحزب ، فزعيمة للحزب ورئيسة للوزراء فى يونيو ١٩٩٣ .

وعندما رشحت لزعامة حزبها كان منافسها الرئيسى هو وزير الداخلية عصمت شيزجين ، ولكنها اكتسحته ، لأنها اعتمدت فى دعايتها على ترديد عبارة « إننى أتعامل مع جميع أعضاء الحزب بمحبة الأخت وحنان الأم » وظلت بعد ذلك تردد هذه العبارة لاسيما فى زياراتها للمناطق الريفية ، واكتسبت بها شعبية كبيرة بين أهل الريف الذين يهتمون كثيرا بالروابط الأسرية وصلة الرحم .

وهى الثالثة بين رئيسات الوزراء فى العالم الإسلامى بعد بينظير بوتو فى باكستان والبيجوم خالدة ضياء فى بنجلاديش وكلتاهما تعانى أيضا من متاعب داخلية .

وفى فبراير عام ١٩٩٤ طارت السيدتان طانسو وبينظير إلى

سيرايفو فى رحلة اجتذبت اهتمام وسائل الإعلام الغربية ، وكان الهدف منها لفت الانظار إلى محنة المسلمين فى البوسنة .

وخلال الجلسات الصاخبة للبرلمان فى نوفمبر ١٩٩٤ كانت تبدو وكأنها تحمل عصا سحرية ، تدفع بها النوم عن عيون النواب الموقرين ، لكى يواصلوا النقاش والجدال حتى الساعات الأولى من الصباح ، ولكى يقروا فى النهاية – على مضض – قانون بيع المشروعات الحكومية إلى القطاع الخاص ، وهو ركن أساسى فى سياستها الاقتصادية .

وفى كثير من الليالى كانت تدعو أعضاء البرلمان – الذين يبلغ عددهم ٤٥٠ نائبا – إلى تناول الأطعمة التركية التقليدية ، هى مرق الكرشة ، ونوع من البيتزا باللحم المفروم ومكعبات لحم الضأن ويسمونها هناك « لحمعجون » .. وكانت تقدم هذه الوجبات للنواب خلال فترات الاستراحة فيما بين المناقشات والمداولات .

وفى الخريف الماضى نجحت فى إعادة الوفاق إلى أطراف الائتلاف الحاكم الذى ترأسه وأعادت تشكيل وزارتها بعد أن كانت قد استقالت فى الصيف .

تقول البطاقة العائلية للسيدة طانسو أنها مولودة فى أسطنبول كبرى مدن تركيا . فى خريف عام ١٩٤٦ وأن ديانتها مسلمة واسمها الرسمى اوتشران تشيلير ، أما طانسو فهو اسم الدلع . وولدها اسمه حسين نجاتى وأمها اسمها زبيدة .

الأب كان صحفيا ، وأصدر صحيفة فى أسطنبول لم تلق الكثير من الرواج . فترك الصحافة إلى العمل الحكومى حيث تقلد منصب مدير العلاقات العامة فى بلدية أسطنبول ، ثم أصبح رئيسا للحى الأرستقراطى بالمدينة ، وظل فى هذا المنصب إلى أن أحيل إلى المعاش منذ عشر سنوات .

أما الأم فلم يكن لها نشاط سياسى أو اجتماعى ، وإنما عرف عنها أنها سيدة بيت ممتازة تجيد طهى الوجبات الشهية وإعداد الحلويات التى يسيل لها اللعاب .

والسيدة طونسو نفسها لم تفكر بالاشتغال بالسياسية إلا منذ ست سنوات فقط أما قبل ذلك فكانت تكتفى بالتدريس فى الجامعة بعد حصولها على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة كونيتيكات الأمريكية . فقد عينت أستاذا مساعدا ، بجامعة البسفور عام ١٩٧٨ ، ثم أستاذة ورئيسة قسم فى عام ١٩٨٣ .

مولدها ونشأتها وصباها ودراستها كانت فى أسطنبول ، وكذلك اشتغالها بالتدريس فى الجامعة ، وعندما دخلت البرلمان كانت نائبة عن إحدى دوائر مدينة أسطنبول . وحتى بعد أن أصبحت وزيرة ثم رئيسة وزراء ما زالت تحتفظ بمنزلها القائم فى أسطنبول على ضفة البسفور . وهى تملك أيضا بيتين فى الولايات المتحدة أحدهما فى مدينة روكفيل بولاية ماريلاند ، والثانى فى ريف ولاية نيوها مبشاير ، ولكن محلها المختار ما زال هو شاطئ البسفور .

منذ أربعة شهور أتمت ٤٩ سنة وعندما سألها الصحفيون عن سنها غالطت فى سنتين ، وزعمت إنها تزوجت فى سن ١٥ ، قبل حصولها على الثانوية العامة . فى حين تقول الأوراق الرسمية أنها تزوجت فى سن ١٧ .

وخلال دراستها الثانوية أحبت زميلا لها اسمه أوزير جاء من قرية بستانجى الواقعة على الجانب الأسيوى من محافظة أسطنبول . وكان هو ابن عمدة القرية وكان هذا العمدة اسمه رمزى بك . ولكن أسرته كانت ريفية بالقياس إلى أسرة طانسو .. وكانت نظرته لها خلال فترة الخطوبة هى نظرة الفلاح إلى بنت البندر .

وخلال دراستها الثانوية اشتهرت بين زميلاتها بأنها « بنت ذوات » رغم أن أسرتها لم تكن غنية وإنما كانت أقرب إلى الطبقة المتوسطة وربما كان السبب فى أرستقراطيتها أنها كانت وحيدة والديها ، ودلوعة الأسرة ، كما كانت « البنت الحلوة » التى يقع فى غرامها كل أولاد الجيران ويتنافسون على كسب ودها .

وكانت تقضى معظم وقتها فى ممارسة الرياضة وعزف الموسيقى والتمثيل على مسرح المدرسة ، وقد اضطلعت بدور البطولة فى مسرحية مدرسية اسمها « البحث عن أمى » .

وفى السنة الأخيرة لتعليمها الثانوى رأست فريق كرة السلة وحصل الفريق على البطولة بين كل فرق الآنسات على مستوى محافظة أسطنبول .

كذلك كانت عضوا بارزا فى نادى الموسيقى ، وهى تجيد العزف على الأورج ، ولها أيضا محاولات فى التأليف الموسيقى .

ولم تكد تبلغ ميعة الصبا حتى تقدم لخطبتها عشرات الوجهاء من أبناء أكرم عائلات أسطنبول ، ولكنها اختارت أن تتزوج من زميلها الريفى ابن عمدة قرية « بستانجى » .

ويقال أن والدها كان يود أن ينجب ابنا ذكرا . وأنه اشترط مسبقا على الزوج أن يحمل اسم أسرة الزوجة وليس العكس ، وذلك لكى يضمن الأب أن أحفاده سيخلدون اسمه من بعده .. وإكراما لخاطر طانسو وافق الزوج على هذا الشرط الذى لا مثيل له فى تركيا ولا فى أى بلد شرقى . وهكذا أصبح اسمه بعد الزواج « أوزير أوتشران » .

وبعد شهر العسل طار الزوجان إلى ولاية كونيتيكات الأمريكية بعد أن حصلا على منحة دراسية فى جامعتها عام ١٩٦٣ ولهما الآن ابن وابنة ، أما الزوج فقد أصبح – مثل زوج السيدة مارجريت تاتشر – رجل أعمال .

وهى الآن تجيد التكلم باللغتين الانجليزية والألمانية ، وقد زارت مصر فى خريف العام قبل الماضى وقامت برحلة نيلية على متن أحد الفنادق العائمة وخلال الرحلة تهافت عليها الصحفيون المحليون والأجانب مثلما يتهافت الحل على قطعة من الحلوى ..

اسحق رابين

العدو من الداخل

فى يوم ١٣ أكتوبر الماضى نشرت صحيفة جيروزاليم بوست تصريحا لرئيس وزراء إسرائيل اسحق رابين قال فيه : « أنا لا أخشى من أى محاولة للاعتداء على حياتى » .. وبعد عشرين يوما وقعت محاولة الاعتداء على حياته ، ولم تكن مجرد محاولة ، فقد اغتيل بالفعل !

هل كان يريد أن يقرأ الغيب ، وأخطأ فى القراءة ؟

وأثناء تشييع جنازته وصفه بعض المتحدثين بأنه « شهيد السلام » ، فهو قد خاض العديد من الحروب ونجا من كل معاركها ، لكى يسقط صريع معركة السلام .. كما أنه واحد من جنرالات إسرائيل الذين اقتنعوا بعدم جدوى الحرب – بعد طول ممارستهم لها – وبأن الأجدى هو الحل السلمى . وقد اتضح موقفه السلمى منذ نحو ست سنوات . فعندما دعا الرئيس حسنى مبارك عام ١٩٨٩ إلى إجراء محادثات بين الإسرائيليين والفلسطينيين عارض شامير هذه الدعوة فى حين بادر رابين إلى الموافقة عليها .

ويقولون عنه أيضا إنه رجل المفاجآت .. فليس موته فقط هو المفاجأة التى لم يكن يتوقعها أحد ، ولا حسب حسابها أحد حتى ولا هو نفسه .. وإنما فى حياته مفاجآت أخرى عديدة .

فهو فى بداية حياته درس فلاحة الأرض ، وتخرج بامتياز فى كلية الزراعة بمنطقة الجليل ، ثم ظهرت فجأة مواهبه العسكرية ، ولم تكد تمر عليه سنوات معدودة فى خدمة الجيش حتى ترقى سريعا فى الرتب العسكرية ، وسجل رقما قياسيا كأصغر جنرال فى جيش إسرائيل ، ثم تولى رئاسة الأركان قبل أن يتم ٤٢ سنة .

ورغم هذا الانجاز فقد ترك الجيش بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، وتحول إلى الدبلوماسية ، حيث اختير سفيرا لإسرائيل فى واشنطن . وفى ذلك الوقت قال إن هذا التحول ليس مفاجأة ، فقد سبق له القيام بمهام دبلوماسية عندما مثل بلاده فى محادثات الهدنة الإسرائيلية العربية التى جرت فى جزيرة رودس تحت إشراف الأمم المتحدة ، فى أعقاب حرب فلسطين وانتهت بتوقيع الهدنة المصرية الإسرائيلية فى فبراير ١٩٤٩ ، وأيضا اتفاقات هدنة مع سائر الدول العربية المتاخمة لإسرائيل فى العام التالى .

وعندما قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان لا يزال سفيرا لبلاده فى واشنطن ، فلم يشترك فى هذه الحرب ، وإنما عاد بعدها لكى يشهد مساءلة العديد من جنرالات إسرائيل عن تقصيرهم فى الأداء العسكرى .. ووسط الجو العام لانتقاد كبار العسكريين والساسة قام هو بدور بارز فى الوصول إلى اتفاقات الفصل بين القوات على الجبهتين المصرية والسورية ثم رشح نفسه للكنيست عن حزب

العمل ، وأصبح نائبا . وخلال عام واحد أصبح رئيسا للوزراء خلفا للسيدة جولدا مائير .

إلا أنه اضطر للاستقالة بعد ثلاث سنوات عندما كشفت الصحف الإسرائيلية أن زوجته السيدة « ليئا » خالفت القانون الإسرائيلى باحتفاظها بحساب فى بنك أمريكى بعد أن انتهت إقامتها فى الولايات المتحدة كزوجة للسفير السابق ..

وبسبب هذه الاستقالة فقد حزب العمل الكثير من شعبيته ، وعندما أجريت الانتخابات العامة فى بداية عام ١٩٧٧ .. فاز الليكود ، وتولى الحكم فى إسرائيل لأول مرة بعد أن ظل فى المعارضة لمدة ٢٩ سنة .

ومنذ استقالة رابين ظل الرجل الثانى فى حزب العمل .. الذى كان يتزعمه شمعون بيرس . إلا أن بيرس فشل فى أربع دورات انتخابية متتالية فى تحقيق فوز واضح للحزب . ومن ثم قرر الحزب فى فبراير ١٩٩٢ اختيار رابين لزعامته على أن يصبح بيرس نائبا له .

ولم يخيب رابين أمل حزب العمل ، فقد قاد الحزب إلى انتصار واضح فى صيف عام ١٩٩٢ ، وتمكن من اخراج شامير من السلطة إلى عالم النسيان ، كما إنه أنهى ١٥ عاما من حكم الليكود . وعقب هذا الانتصار قال رابين : أعتقد أننى تعلمت الآن الكثير عن كيفية إدارة دفة الحكم .

ولم يغب رابين كثيرا عن الساحة السياسية فيما بين استقالته من رئاسة الحكومة وعودته لها .. ففى عام ١٩٨٤ استطاع أن يقنع حزب العمل بالدخول فى ائتلاف مع الليكود . وفى هذه الحكومة الائتلافية تولى هو منصب وزير الدفاع .

وكوزير للدفاع فإنه رتب لعملية انسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان ، ولم يتم الانسحاب نهائيا ، وانما أبقت قوات الاحتلال الإسرائيلية على شريط حدودى بعمق ١٠ كيلو مترات داخل الأراضى اللبنانية ، وانشأت فى هذا الشريط جيشا مواليا لها من العناصر اللبنانية المنشقة عن السلطة الشرعية ، وهو الجيش الذى يتولى قيادته الجنرال انطوان لحد .

وواجه أيضا – كوزير للدفاع – بداية الانتفاضة الفلسطينية فى غزة والضفة الغربية . وكان هو صاحب نظرية ضرب أطفال وشباب الانتفاضة بالهراوات بدلا من اطلاق الرصاص عليهم ، وعندما طبق الجنود الإسرائيليون هذه النظرية فإنهم كسروا عظام العديد من الشباب الفلسطينى بطريقة وحشية آثارت عليه الكثير من السخط .. حتى أن بعض منظمات المقاومة اعتبرته هو – وليس شامير – العدو الأول للفلسطينيين ..

وعلى حين ظل شامير حتى اللحظة الأخيرة من حكمه يؤكد عناده وإصراره على عدم إعادة شبر واحد من الأراضى المحتلة إلى

الفلسطينيين متذرعا بالدعاوى الأسطورية حول « أرض إسرائيل التوراتية » .. فإن رابين أخذ يبدى الرغبة – لاسيما بعد مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ – فى دفع جهود السلام ، وتصحيح أخطاء الماضى .. ثم أوضح فى حملته الانتخابية لعام ١٩٩٢ إنه يعتزم منح الفلسطينيين الحكم الذاتى فى فترة تتراوح ما بين ستة أشهر ، وسنة ، وكان أول زعيم إسرائيلى يعلن إن من حق الفلسطينيين أن يطمحوا إلى إقامة دولة لهم فوق أرضهم .

وفى العام التالى لعودته إلى رئاسة الحكومة جرت فى النرويج محادثات سرية بين ممثلى إسرائيل ، ومنظمة التحرير الفلسطينية انتهت إلى توقيع اتفاق الاعتراف المتبادل والمتزامن بينهما ، ثم إلى اتفاقية أوسلو الخاصة بالحكم الذاتى الفلسطينى ، وتبعها بعد ذلك فى صيف عام ١٩٩٣ التوقيع فى البيت الأبيض بواشنطن على اتفاق إعلان المبادئ الإسرائيلى الفلسطينى ، ثم اتفاق القاهرة فى ٤ مايو ١٩٩٤ ، الذى أكمله اتفاق طابا فى سبتمبر الماضى بشأن تنفيذ الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وإعادة انتشار الجيش الإسرائيلى ، وتسليم خمس مدن أخرى إلى سلطة الحكم الذاتى الفلسطينية ، وهو ما تجرى ترتيباته الآن بالفعل استعدادا لاجراء انتخابات فلسطينية .

كذلك فإن رابين وقع فى يوليو من العام الماضى ، فى حديقة البيت الأبيض مرة أخرى ، وثيقة انهاء حالة الحرب بين إسرائيل والأردن

والجانب الأكبر من الإسرائيليين يرون فى رابين بطلا قوميا ، ويذكرون له إنه هو الذى أشرف – وهو رئيس للوزراء – على عملية انقاذ ركاب الطائرة الفرنسية التى اختطفت إلى أوغندا فى منتصف صيف عام ١٩٧٦ ، وكان على متنها عشرات من الركاب الإسرائيليين ، ضمن ركاب من عدة جنسيات أخرى .. تم إنقاذهم جميعا ماعدا راكبة واحدة ، فيما عرف باسم عملية عنتيبى نسبة إلى المطار الذى اختطفت إليه الطائرة . وفى هذه العملية لقى قائد مجموعة الإنقاذ الإسرائيلية مصرعه أثناء عملية اقتحام الطائرة .

وينتمى رابين إلى الجيل الذى يطلقون عليه اسم « الصابرا » أى الذين ولدوا على أرض فلسطين ، فقد جاء مولده فى القدس لأب قادم من الولايات المتحدة ، وأم قادمة من روسيا ، وكما إنه أول رئيس وزراء إسرائيلى يجىء من الصابرا ، فهو أيضا أول حاكم لإسرائيل – على الاطلاق – يقضى نحبه صريعا .. ومن حيث كان الظن أن يأتى مصرعه على أيدى أحد « الإرهابيين » العرب .. إن الذى اغتاله كان إرهابيا « من الداخل » وسط تجمع احتفالى ضم أكثر من مائة ألف من أنصار السلام ..

انديرا غاندى

أرملة تلبس تاجا من الشوك

بينما كانت وفود المهنئين تفد على دار السيدة انديرا غاندى وتهتف بحياتها وتقلدها طاقات الزهور ، وبينما كانت البرقيات ترد من مختلف عواصم العالم حاملة تمنيات النجاح والتوفيق عندما تقلدت رئاسة الوزارة لأول مرة فى بداية عام ١٩٦٦ .. كان هناك كاهن هندوسى عجوز يقف وسط الجماهير ويهز رأسه فى أسى قائلا : « مسكينة هذه الأرملة ، لقد حكمت على نفسها بالأشغال الشاقة . إن التاج الذى وضعوه على رأسها يحمل من الأشواك أكثر مما يحمل من الزهور » .

كانت كلمات هذا الكاهن الهندوسى إشارة واضحة إلى المهام والأعباء الكبرى التى حملتها انديرا على كتفيها منذ اللحظة التى قررت فيها اللجنة البرلمانية لحزب المؤتمر الهندى اختيارها زعيمة للحزب ، ومن ثم رئيسة للوزارة . وهى نفس اللحظة التى عبرت انديرا عن مشاعرها إزاءها قائلة : « إن قلبى مفعم بالغبطة ولا أدرى كيف أشكركم ! » ؟

لقد ظلت انديرا تعيش فى شبه عزلة انطواء طوال السنوات السابقة وسط مجتمع يسيطر عليه الرجال ، وكانت ومازالت تنعم بثراء واسع فى بلد تطحنه المجاعة . برغم الخجل البادى على

فهى تحمل نفس قسمات الوجه الصارمة التى ورثتها عن والدها الراحل نهرو ، وإن لم تكن تحمل كل آرائه ولا كل قوة شخصيته .

فالمعروف عنها أنها كانت أميل إلى اليسار من والدها . وقد ظهر ميلها اليسارى من قبل أن تشتغل بالسياسة ومن قبل أن تتشكل أراؤها فى مشاكل بلادها التى كانت تحملها الآن على كاهلها الدقيق .. كان ذلك فى أيام شبابها الأولى حيث كانت تدرس فى جامعة أوكسفورد ، وهناك أحبت زميلا لها وقررت أن تتزوجه رغم التقاليد الهندية ورغم معارضة أسرتها ووالدها بالذات .

فقد كان الشاب الذى اختارته – اسمه فيروز غاندى – ينتمى إلى طائفة نشأت أصلا فى بلاد الفرس ، أما انديرا تنتمى إلى طائفة الهندوس البراهمة التى تعتبر نفسها أرقى طوائف الهند على الاطلاق ، وبالتالى لا يجوز لها أن تختلط دماؤها بالطوائف الأخرى . وفى ذلك الوقت بعث بعض أفراد الطائفة تهديدات بقتلها إذا هى أقدمت على الزواج من فيروز .. وتقول انديرا أنها لم تتأثر بهذه التهديدات ، فثارت على التقاليد ونجحت فى الاقتران بالشاب الذى أحبته والذى ظلت تحمل اسم أسرته حتى وفاتها . وبعد الزواج رحل العروسان إلى كشمير لقضاء شهر العسل وسط مناظرها الطبيعية الخلابة . وقبل أن ينتهى شهر العسل ألقت سلطات الاستعمار البريطانى القبض على العروسين بتهمة القيام بأعمال « التخريب » !

وقد جاء هذا الزواج فى ربيع عام ١٩٤٢ وجاءت بعده فترة السجن التى استمرت ١٣ شهرا أمضتها أنديرا فى تعليم القراءة والكتابة للأميات من الفتيات اللاتى كن يقمن معها فى نفس المعتقل .

ومن الغريب أن الشخص الوحيد – من أصدقاء الأسرة – الذى وافق على هذا الزواج كان المهاتما غاندى الزعيم الروحى للهند ، والذى لم تكن تربطه أى صلة بفيروز غاندى رغم تشابه الأسماء .

والأغرب من ذلك أن هذا الزواج – الذى قام على الحب وتحدى التقاليد والأسرة – لم يستمر طويلا ، فسرعان ما انتهى إلى الانفصال بعد أن أنجبت انديرا طفليها راجيف وسانجاى فى عامى ١٩٤٤ و ١٩٤٦ على التوالى ، وقد درس كلاهما فى جامعة كمبريدج ببريطانيا .

أما والد الطفلين فقد مات فى صيف عام ١٩٦٠ متأثرا بأزمة قلبية بعد مرض قصير وفى صيف عام ١٩٦٤ مات نهرو متأثرا بأزمة قلبية بعد مرض قصير أيضا !

ولم يكن لأنديرا أشقاء ولا شقيقات ، وبالتالى فقد انكفات إلى الانطواء والعزلة .

وهى تقول أن الحلقة الذهبية فى حياتها كانت فيما بين عامى

١٩٤٣ و ١٩٤٦ . ففى خلال هذه السنوات كانت فى أوج السعادة الزوجية ، أما بعدها فقد أخذت تبتعد عن زوجها بقدر تقربها إلى السياسة وإلى أبيها .

ففى عام ١٩٤٦ أصبح نهرو رئيسا للحكومة المؤقتة التى تشكلت تمهيدا للاستقلال وكان قد خرج من المعتقل لتوه ، وبالتالى فقد وجد نفسه يحل ضيفا على ابنته وزوجها وأصبح الثلاثة يعيشون تحت سقف واحد ! وأثر الاستقلال انتخب زوج أنديرا عضوا فى البرلمان ، فقرر أن يتخذ له مسكنا مستقلا يستقبل فيه أبناء دائرته ، وآثرت أنديرا البقاء بجانب أبيها ومن هنا بدأ الانفصال بين الزوجين .

وعندما ولدت أنديرا فى خريف عام ١٩١٧ كان العالم قد أخذ يشهد بداية النهاية للامبراطورية البريطانية واقتراب نهاية الحرب العالمية الأولى ، وقيام ثورة البلشفيك فى روسيا . وكان البيت الذى ولدت فيه بمدينة الله آباد يحمل اسم « انائد بها فان » وهما كلمتان هنديتان معناهما « بيت السعادة » ، ولكن انديرا لم تعرف السعادة منذ طفولتها المبكرة ، ففى سنواتها الأولى كانت ضعيفة عليلة من أثر مرض التهاب الحلق الذى ظلت تعانى منه أربعة أعوام حتى خشيت الأسرة على انديرا الصغيرة من أن تكون قد أصيبت بنفس المرض الصدرى الذى أدى إلى وفاة أمها فى عام ١٩٣٦ .

وتقول أنديرا : « لا أذكر أننى كنت الهو فى طفولتى كسائر

الأطفال ، وحتى الدمية التى اشترتها لى أمى لم تكن تروق لى » ..
فقد رأت انديرا جميع أفراد أسرتها وهم يساقون إلى المعتقل وكانت تشهد البوليس الإنجيزى وهو يفتش بيت الأسرة مرة كل أسبوع .

كانت اللعبة الوحيدة التى بقيت لانديرا لكى تتسلى بها هى السياسة ، ففى « بيت السعادة » كانت تدور دائما مناقشات سياسية حول الاستعمار والكفاح والاستقلال وبدأت أنديرا لعبة السياسة قبل أن يبلغ عمرها ١٢ سنة ، حيث كانت تلقى الخطب على خدم المنزل حول ضرورة الكفاح من أجل التحرر ، وقد وصفت فيما بعد هذه المرحلة بقولها : « كنت مثل جان دارك احترق وأنا مشدودة إلى مكانى فى البيت عاجزة عن القيام بأى عمل لإنقاذ وطنى وأسرتى » .

وفى عام ١٩٣٠ وفى مناسبة عيد ميلاد انديرا الثالث عشر كتب نهرو ضمن الرسائل التى وجهها إلى ابنته من داخل السجن كتب إليها يقول « ما هى الهدية التى أستطيع تقديمها إليك فى يوم ذكرى مولدك ؟ لا شىء غير هذه الكلمات التى لن تقدر جدران السجن ، مهما ارتفعت أن تمنعها من الوصول إليك » .

وقد أوصى نهرو لابنته بكل ثروته بما فى ذلك منزل الأسرة فى « الله آباد »

وكانت الآن فى فيللا من طابق واحد ومعها طباخ و « جنايني » وخادم خاص وثلاثة كلاب ذات ألوان ذهبية كان يربيها والدها وآلت إليها ضمن الميراث .

وخلال فترة رئاستها للحزب وقعت معارك الحدود العنيفة بين الهند والصين واتخذ الحزب موقفا صلبا موحدا تجاه هذا التهديد .

وقد استطاعت بالفعل أن تعيد إلى الحزب الكثير من حيويته ، كما دفعت أعضاءه فى مقاطعة كيرالا إلى التحالف مع الرابطة الإسلامية هناك من أجل اسقاط الحكومة الشيوعية المحلية التى كانت قد تشكلت فى الولاية . ونجحت فى هذا المسمى .

ولم تكن وهى فى رئاسة الحزب ، تعمل وحدها .. وإنما كانت تسترشد دائما برأى والدها ، وفى كل مساء كانت تجمع ملفا كبيرا يضم الأوراق الخاصة بالقضايا والمشاكل التى لم تستطع البت فيها برأى ثم تأخذ فى عرضها على الباندیت نهرو . وقد قالت فيما بعد : « إن السياسة قد سرقت منا أغلى ما كان عندنا .. الجو العائلى الهادئ » .

ولم تستمر فى رئاسة الحزب أكثر من عام واحد . فقد آثرت أن تتفرغ لرعاية ولديها ووالدها . ثم أعلنت أن أقصى ما تتمناه هو ألا ترى ولديها يشتغلان بالسياسة ، فهى ترجو أن يكون كل

منهما قد اتعظ بعد أن رأى جده رئيسا للوزراء ثم أمه – بعد عام ونصف – رئيسة للوزراء .

ومن عجب أن ابنها الأصغر سانجاى لقى مصرعه فى حادث سقوط طائرة ، أما ابنها الأكبر راجيف الذى أصبح رئيسا للوزراء بعد سنوات قليلة مصرعها بين حَارسها ، فقد اغتيل فى مارس ١٩٩١ عندما انفجرت فيه قنبلة خلال احدى المعارك الانتخابية .

وحسب ما تقوله انديرا فإن أكبر شخصيتين أثرتا فى حياتها هما طاغور وغاندى . فإن طاغور جعلها تحب الشعر وسائر الفنون الأخرى . أما غاندى فقد جعلها تحب أباها .. وهى تذكر أن غاندى قال لها وهى طفلة – بعد أن رأها تتسلل خلف خطوط الجنود البريطانيين « لو كنت مكان أبيك لأعددتك للاشتغال فى أجهزة البوليس .. » .